سياسة الدولة العثمانية تجاه البندقية حتى مطلع القرن السادس عشر

أ.م. د فهد عويد عبد

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ

الايميل:falbuaijy@uowasit.edu.iq

رقم الهاتف:07801813297

تاريخ الاستلام : 6-06-2021

تاريخ القبول : 22-06-2021

المستخلص

تتبعت الدراسة سياسة الدولة العثمانية تجاه البندقية، منذ بواكير نشأة تلك العلاقات منتصف القرن الرابع عشر، حتى مطلع القرن السادس عشر، وامتازت تلك العلاقات بالتأرجح بين الحرب والسلام ، والتقارب الى درجة التحالف وتوقيع معاهدات الامتيازات بين الطرفين ؛ والبعد والخصام لدرجة اندلاع الحرب بين الطرفين أكثر من أربع مرات خلال فترة البحث، هن: الحرب العثمانية البندقية بين عامي 1415-1419، وحرب عامي 1422-1430، والحرب التي استمرت بين الاعوام 1463-1479، وآخرها الحرب التي اندلعت بين الاعوام 1499-1503.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، البندقية، محمد الثاني، واساج، فارنا

The Policy of the Ottoman State Towards Venice until the beginning of the Sixteenth Century

Receipt date: 2021-06-06

Date of acceptance: 2021-06-22

Abstract

This study deals with the Ottoman-Venetian relations that originated in the second half of the fourteenth century, when the two sides signed a trade treaty in 1368, but these relations did not continue in this way. On the one hand, Venice had many commercial colonies and controlled the main trade routes between Europe. These interests were on the path of Ottoman military expansion, which brought the two sides into conflict throughout the 15th century. This began with the naval battle that broke out between the two sides in 1416, followed by the intervention of the Venetians to save Constantinople from the Ottoman expansion, and then enter the parties with two wars. During the second half of the 15th century, however, Venice failed to resist the then growing Ottoman expansion.

key words: Ottoman State, Venice, Mohammad II, Vassag, Varna.

المقدمة:

استطاعت البندقية بناء دولة لها من والرخاء والنفوذ فاق الدول المتوسطية وغيرها، تمكنت خلال الفترة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر من تأسيس مجموعة من المستعمرات الشرقية التي استطاعت من خلالها السيطرة على طرق التجارة بين أوربا والشرق، الأمر الذي أدى الى تسارع وتيرة عملية تراكم رأس المال فيها، فانعكس ذلك على قوتها العسكرية فكانت قادرة على الدفاع عن مصالحها في أية بقعة في الشرق أو الغرب. لكن تلك الهيمنة البندقية وابتداء من منتصف القرن الرابع عشر، بدأت تصطدم بالنفوذ العثماني الآخذ بالتمدد المستمر والسريع تجاه المناطق التي كانت آهلة بالنفوذ والمصالح البندقية، الامر الذي بذر بذور الاحتكاك السياسي والعسكري بين الطرفين، وعقّد العلاقات بينهما، فأخذت تتأرجح بين سلام مستكين وحرب مشتعلة، اذ اصبح كل طرف يرى الآخر خطرا محدقا بمصالحه وممتلكاته ونفوذه. وعلى الرغم من الصبغة الحربية التي اصطبغت بها العلاقات العثمانية – البندقية خلال تلك الفترة؛ بيد ان ذلك لم يمنع الطرفين من السعي نحو بعضهما دبلوماسيا، لكسب صداقة سياسية، أو لتأطير العلاقة بينهما بمعاهدة تضمنت امتيازات تجارية وقنصلية ودينية، الأمر الذي اعطى العلاقة بينهما أبعادا أخرى فضلا عن بعدها السياسي.

جاءت هذه الدراسة للوقوف على تفاصيل تلك العلاقات منذ بداية تشكلها حتى مطلع القرن السادس عشر، أملا في أن تكون هناك دراسة أخرى تغطي ما بقي من أحداث ضمّتها فترة أخرى تميزت فيها العلاقات بين البلدين بميزات اختلفت فيها عن سابقتها. وتقسم هذه الدراسة الى ثلاثة مباحث يعالج أولها بواكير العلاقات بين البلدين حتى فتح القسطنطينية، في حين يقف المبحث الثاني على موقف جمهورية البندقية من فتح القسطنطينية وتأثير ذلك على النشاط البندقي في الشرق، وبالنسبة لتطورات النصف الثاني من القرن الخامس عشر فيتم الوقوف على تفاصيلها في المبحث الثالث.

أولا. بواكير الاحتكاك العثماني – البندقي حتى العام 1453 :

يعود أقدم اتصال لجمهورية البندقية مع الشرق الى آذار من عام 992م، عندما عقدت أول معاهدة تجارية مع الامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور بازيل الثاني Bazel II 976–1025، وحصل البنادقة بموجبها على تخفيض في الضرائب الجمركية التي تجبى عند الدخول عبر مضيق الدردنيل والخروج منه، وأمنهم من مضايقات الموظفين البيزنطيين، وأقر لحمايتهم تشريعات خاصة في موانئ الامبراطورية، وفي العام 1082 وقع البنادقة معاهدة اخرى مع الامبراطور الكسيوس كومنين A.

Comenin، تضمنت امتيازات تجارية اصبحت البندقية بموجبها سيدة التجارة الشرقية، ومهدت تلك الميزات للبنادقة مكانة ممتازة في الشرق استحال معها لمنافسيهم وخصومهم الحصول على مثلها آنذاك، فكانت فاتحة الحصول على المزيد من الامتيازات التجارية والارضية وتكوين مملكتها التجارية الشرقية التي بدت لسعتها وقوتها انها تستحق ان يسميها المؤرخ البندقي شارل ديل ب "امبراطورية البندقية الاستعمارية " (ديل، د. ت، 19، 32 ،43؛ Schevile, 1922, 130).

زادت البندقية من نفوذها التجاري والسياسي اثناء الحروب الصليبية التي شنتها أوربا المسيحية على البلدان الاسلامية لدوافع سياسية واقتصادية ودينية استمرت طيلة السنوات 1096–1291 (أمين،227،1980؛Lamb،1930)، من خلال عمليات نقل الجيوش الصليبية الى الشرق لدوافع تجاوزت الديني منها الى الاقتصادي (قاسم،47،1990)، وآية ما نذهب اليه هو ما جرى في الحملة الصليبية الرابعة التي كان البنادقة وراء انحرافها عن هدفها فتوجهت الى القسطنطينية واحتلتها عام 1204 (توفيق، 2009، 164؛Schevile ، 1922، 135)، وبعد سقوط المدينة في 12 نيسان 1204، كان البنادقة وحلفاؤهم الصليبين قد وقعوا اتفاقية أكتوبر 1204 التي حصلت البندقية بموجبها على أجزاء من الممتلكات البيزنطية، فكان لهم في البحر الأيوني ابيروس وأكارنانيا وأتوليا وغيرها، وكان لهم الجزر الايونية وكورفو وكافالونيا وسانت مور وزانطه وشبه جزيرة المورة كلها بما فيها مودون ولكديمونيا وكاليرفيت وأستروفو وبتراس والجزائر الواقعة جنوب الأرخبيل وغربه وأخصها ناكسوس واندروس وأيوبيا، وكان لهم على الساحل الاوربي للدردنيل وبحر مرمره غاليبولي ورروديستو وهراقليه، كما كان لهم داخل تراقيا بعض المدن وأهمها أدرنة، وكان لهم ايضا ثلاثة اثمان القسطنطينية، وآلت لهم في وقت لاحق جزيرة كريت عام 1207 واتخذ دوق البندقية هنري داندولو H. Dandolo اللقب الذي ظل هو وخلفاؤه من بعده يعتزون به، وهو "صاحب ربع ونصف ربع الامبراطورية البيزنطية"، وبقي الحكم اللاتيني فيها حتى العام 1261 حين استعاد البيزنطيون مملكتهم . (ديل، د.ت،41–44). وبحلول القرن الرابع عشر توسعت ممتلكات جمهورية البندقية، ولكون تلك الممتلكات تقع في اتجاه التوسع العثماني فقد اصبح الاحتكاك بين الطرفين قدرا محتوما (الشناوي،1969، 738).

وصل التأثير العسكري العثماني الى الجانب الاوربي في عهد الأمير أورخان بن عثمان 1326–1360 كقوة تبغي التوسع الاقليمي، استطاعت ان تفرض وجودها العسكري على عدد من المراكز المهمة مثل مدينة ازنيك (نيقيا) ثاني المدن البيزنطية بعد القسطنطينية عام 1331 ومدينة أزميد (Creasy، 1961، 16؛ آمجن، 1999، 12؛ كوبريلي، د. ت، 180)، وبذلك سيطر

على ساحل بحر مرمره الآسيوي، ولم يعد يفصله عن الجانب الأوربي سوى المضيق، فأشعر ذلك أطرافا عديدة بالقلق ومنها البندقية التي ادركت الخطر الكامن في ذلك العبور، خشية أن يغالبهم العثمانيون على مستعمراتهم وممتلكاتهم في الجانب الاوربي، لاسيما أن البندقية كانت تعيش – مع استمرار ضعف الدولة البيزنطية – حالة من الاطمئنان والتوسع المستمر في امتلاك المستعمرات البيزنطية، فسعت البندقية الى تأليب دول أوربا على العثمانيين وتمكنت ان تكون مهندسة حلف أعلن عن تشكيله في 11 تشرين الثاني 1333، اشترك فيه فضلا عنها كل من البابا يوحنا الثاني والعشرين Jean XXII والملك الفرنسي فيليب السادس Philip VI وفرقة الاسبتارية، (ذلك التنظيم الذي تألف من فئة من الفرسان الاوربيين المتدينين، في فترة الحروب الصليبية لرعاية جرحى الحروب وتقديم الخدمات الطبية، ولهذا كان يطلق عليهم ايضا فرسان المشفى (Hospitaller) التي حرفت في العربية الى اسبتارية، غير ان تنظيمهم سرعان ما تحول الى جماعة مسلحة قاتلت الى جانب الجيش الصليبي، ومركزهم الرئيس كان مدينة القدس ثم انتقلوا منها الى عكا عام 1187م وبعد دخول جيش المماليك اليها انتقلوا الى قبرص ثم الى رودس التي اتخذوها قاعدة يشنون منها حملاتهم على المدن والسواحل الاسلامية). (طرخان،1960، 97)، والامبراطور البيزنطي اندرونيقوس الثالث Andro III ، لكن موت البابا في كانون الاول من العام ذاته عاق تنفيذ تلك الحملة، وظلت الاستعدادات في فرنسا على الرغم من ذلك مستمرة ونشطة، وكادت ان تنفذ الحملة مرة أخرى لولا ان جدّ أمر آخر قضى على جميع تلك الاستعدادات وهو نشوب الحرب المسماة حرب المئة عام بين انكلترا وفرنسا (الرشيدي،2013، 18–19؛ الدوري، 2012، 347؛, Nicole1972، 174؛ , Yale 1958، 14).

وخلال فترة الخطر الصربي على الامبراطورية البيزنطية بين الاعوام 1349–1355 تغيرت الظروف بعد ان اخذ الملك الصربي استيفان دوشان A. Doshan يهدد الامبراطورية البيزنطية آملا بعد فتحه لبلاد البلغار ان يزحف بالصقالبة الغربيين على القسطنطينية لتكوين دولته الكبرى، فتحالف مع البنادقة وأخذ يهدد الامبراطور البيزنطي جان باليولوج عام 1349، فلجأ الاخير بدوره الى الأمير أورخان الذي اجاب طلبه فأرسل اليه قوة عسكرية، لكن موت الملك استيفان المفاجئ غيّر مجرى الاحداث، فانتهى الخطر دون تدخل أورخان (المحامي، 2009، 126؛ الرشيدي، 2013، 19؛ فريدون، 1999، 13؛ Nicole، 1972، 209). وعلى الرغم من عدم الاشتراك الفعلي العثماني في دفع خطر استيفان دوشان؛ لكن الحملة العثمانية لم تخلو من فائدة وهي ان سليمان باشا (ابن اورخان) وقواته لما تسنى لهم عبور المضيق، فقد وقفوا على ضعف الدولة البيزنطية، فأخذ السلطان

يفكر في استغلال الفرصة والعبور الى الجانب الاوربي والسيطرة على بعض النقاط الاستراتيجية، وتأسيسا على ذلك اجتاز سليمان باشا في العام 1357 المضيق على رأس قوة مؤلفة من 30,000 مقاتل واستطاعوا السيطرة على مدينة غاليبولي وميناء تزنب ومدن ابسالا ورودستو وكانت تحت حماية البنادقة حينذاك (بيلدسينو،1993، 30؛ ابو زيدون، 2003، 26).

حاول العثمانيون في عهد السلطان مراد الاول 1360 –1389 الاستفادة من حالة الارتباك السياسي والضعف الاقتصادي الذي لم تعد الدولة البيزنطية قادرة على اخفائه آنذاك (بينز، 1950، 347– 349)، ومن المهم القول انه منذ عهد الامبراطور اندرونيقوس الثاني 1282–1328 أخذت قيمة العملة الذهبية البيزنطية المسماة Bezant بالانخفاض نتيجة التلاعب في نسبة الذهب المسبوك، الامر الذي دل على عظم التدهور الذي مر به الاقتصاد البيزنطي آنذاك، أما من الناحية السياسية فقد تجدد الصراع بين الامبراطور ورجال الدين من جهة، وصراع آخر بينه وبين حفيده الذي حمل اسمه ايضا اندرونيقوس من جهة اخرى، والأخطر ان الجيش انقسم على الفريقين، فانعكس ذلك على امكانية العثمانيين بالتوسع في المناطق الخاضعة للسيادة البيزنطية، ولم يحل عام 1325 حتى انحصرت املاك الامبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى على شريط ساحلي يمتد من الدردنيل حتى البسفور شمالا (الحديثي، 1986، ص446؛ الرشيدي، 50 –53)، لغرض التوسع على حسابها في الجانب الاوربي (طقوش، 2008، 44–45؛ ابو زيدون، 2003، 37؛ Ostrogorsky, 1965, 454–455).

لم تقف العوامل المسببة للاحتكاك العثماني – البندقي عند ذلك الحد؛ انما لعب التنافس الذي بدأته جمهورية جنوا ضد البندقية دوره في دفع الأخيرة لحث الخطى ومسايرة الجهود الجنويه، فأضفى ذلك التنافس بعدا اقتصاديا على العلاقات العثمانية – البندقية، اذ حصل الجنويون من الحكومة العثمانية عام 1352 على امتياز احتكار طويل المدى لاستغلال حجر الشب في مغنيسيا، التي كانت تعد المصدر الرئيس للشب اللازم لصناعة النسيج الاوربي، كما تحولت مستوطنات جنوا في غرب الاناضول مثل فوتشا وجزيرة خيوس الى موانئ لتصدير البضائع الاناضولية (اينالجيك،2002، 209). وتأسيسا على تلك المنافسة الاقتصادية ولأن البنادقة على حد قول أحدهم "نحن تجار وبهذا لا يمكننا العيش بدونهم" ويقصد بذلك العثمانيين (ديل،د.ت،134)، أسفرت تلك التوجهات عن عقد البنادقة أول معاهداتهم التجارية مع الدولة العثمانية عام 1368، حصلوا فيها على امتيازات تجارية، وتم الحديث حول انشاء قاعدة تجارية لهم في شقودره (رائسي، 2007،126)، وسمح العثمانيون للبنادقة بالتجارة في الحبوب نظرا لان الحبوب الواردة من الاناضول ومقدونيا وتراقيا وتساليا كانت مهمة جدا بالنسبة للبندقية وجزرها

وكذلك الى وادي نهر بو po (اينالجيك،2002، 209)، وفي سنة 1384 شوهدت بعثة تجارية عثمانية في البندقية (ديل،د.ت،134).

لكن ربيع العلاقات العثمانية – البندقية لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما توترت الاوضاع بين الطرفين، فمدينة سلانيك التي سيطر عليها العثمانيون منذ عام 1386 سرعان ما استعادتها البندقية، ثم هاجمها السلطان مرة اخرى واستعادها عام 1394 (فاتان،1993، 66) وفي عام 1395 بدأ السلطان بايزيد يهدد حدود المجر فذعر ملكها سجسموند Sigsmond واستصرخ أوربا مستغيثا، فاندفع البابا بونيفاس التاسع Boniface IV لنصرته ودعا لحملة صليبية ووعد بالغفران لكل من يشارك او يدعم هذه الحملة، فلبى الدعوة كل من وانكلترا وفرنسا وبعض الامراء الالمان وجهزت البندقية أسطولا كبيرا لدعم الحملة (شوجر، 1998، 37؛ فاتان، 1993، 68؛ الرشيدي، 2013، 25؛ Creasy,1961,34–35). وكان الاتفاق يقضي بأن يهاجم الاسطول البندقي نظيره العثماني من جهة البحر، في حين تقوم قوات الدول المتحالفة بالهجوم من جهة البر، لكن شيئا مما كان يمني به هؤلاء أنفسهم لم يتحقق، بعد ان داهم السلطان تلك القوات وأنتصر عليها في معركة حاسمة قرب نيقوبوليس في 25 ايلول من العام ذاته (اينالجيك، 2007، 56؛ حمودة، 2006، 34؛ الشناوي، 1969، 744؛ شوجر، 1998).

شهد مطلع القرن الخامس عشر تحسنا في العلاقات العثمانية – البندقية، ففي عامي 1403و1406 تم تجديد المعاهدة التجارية السابقة بين الطرفين، وتضمن التجديد تعهد السلطان بعدم رفع الرسوم التي يؤديها تجار البندقية او تهديد ممتلكاتها (ديل، د.ت،134؛ اينالجيك،2007، 294)، بيد أن ذلك التفاهم لم يعمر طويلا، فمن جانب ارادت البندقية الافادة من حالة الارتباك التي مرت بها الدولة العثمانية نتيجة الغزو التتاري من الشرق، ومن جانب آخر فان بقاء مدينة غاليبولي تحت السيطرة العثمانية كان يثير قلق البنادقة، لاسيما أن هذه المدينة بمينائها تسيطر على مدخل بحر مرمرة، وبعبارة أخرى السيطرة على الطريق التجاري الوحيد الذي يربط البندقية ومستعمراتها ومراكزها التجارية على البحر الاسود والمناطق المحيطة به. وبناء على تلك الاهمية فقد أقام العثمانيون في أضيق موقع من مضيق الدردنيل قلعة سميت بقلعة (اناضولي حصار) على الجانب الاسيوي للمضيق، كما بنوا أيضا قلعة مماثلة في غاليبولي، وقاموا بتسوير المدينة الداخلية لزيادة تحصيناتها، وأرسوا هناك اسطولهم الحربي الحديث التشكيل وقتئذ (Lane,1973,199, اينالجيك،2002، 208)، وكانت كل تلك الخطوات لاسيما ما تعلق بإنشاء الاسطول العثماني معتمدا فيه على جهود بحارة من أهالي جنوا وكتالونيا وصقلية، ووضعه في الدردنيل وتبادل الاتهامات

بالقرصنة مع البنادقة، تترجم من لدن البندقية أنها عقبات جديدة في طريق التجارة البندقية مع الشرق، وفتح الباب لمنافس طموح في المنطقة وهم العثمانيين (الشناوي،1969، 743؛ ديل، د.ت، 136، فاتان، 1993، 84).

هاجم السلطان محمد الاول 1412–1421 في العام 1413 مدينة سالونيك التابعة آنذاك للإمبراطور البيزنطي الذي استعادها عام 1402 على أثر تنازل السلطان سليمان عنها مقابل تأييده في الصراع ضد أخوته، فادّعى الامبراطور بأنه قد باعها لجمهورية البندقية التي استردتها بدورها من العثمانيين (الرشيدي،2013، 32)، لكن الحملة بلا شك اشرت من جهة اخرى المطامع العثمانية في تلك المنطقة، وفي الوقت ذاته هاجمت قوة بحرية عثمانية مدينة أيبوبيا وجزائر السيكلاد، فردت البندقية على ذلك بأن أرسلت أسطولها الى الدردنيل، وفي 29 أيار 1416 أوقع أمير البحر بيتر لوردان P. Lordan بالعثمانيين خسائر جسيمة وحاول التوغل في الميناء الداخلي لتدمير كل القاعدة البحرية (Thayer, 1908, 184.؛ اينالجيك، 2002، 209). وكانت تلك المعركة فاتحة الصراع البحري العثماني – البندقي الذي استمر بصورة مناوشات وغارات بحرية متقطعة حتى العام 1419، اذ تم توقيع اتفاق بين الطرفين انهى ذلك الصراع وتضمن اعتراف العثمانيين بسيادة البندقية على ثمانية وثلاثين موقعا وقلعة، مع تعهد البندقية بدفع جزية عن امتلاك لوبانت وآليسيو ودريفاستو وسكوتاري. ويمكن تفسير طول أمد تلك المناوشات بين العثمانيين والبنادقة الى اختلاف المواقف الاستراتيجية عند الطرفين، فالبندقية المعروفة بقوتها البحرية استطاعت الحفاظ على قواعدها الساحلية بقوات صغيرة نسبيا وذلك بسبب انشغالها على الساحة الايطالية بحرب ضد ميلان، اما العثمانيون الذين كانت قواتهم الفاعلة في البر؛ فقد بدأوا بإنشاء أسطولهم حديثا، وبناء على ذلك لم يتمكنوا من مجاراة القوة البحرية البندقية لحسم الصراع لصالحهم (الحويري، 2001، 111؛ فاتان، 1993، 88).

وفي عهد السلطان مراد الثاني 1421–1451 فكّر العثمانيون بتتويج انتصاراتهم في الروملي بفتح مدينة سالونيك عام1430، فبعد ان باعتها بيزنطة الى البندقية عام 1423 لقاء خمسين الف دوك (العملة النقدية الذهبية للبندقية التي احتلت مع حلول النصف الثاني من القرن الرابع عشر موقع السيادة كأهم نقد اعتبر المقياس الاساس للمدفوعات التجارية حول البحر المتوسط وما وراءه (شوكت باموك ،2005،ص34) إثر حالة الافلاس التي كانت عاشتها الامبراطورية البيزنطية (فهمي،1993، 54؛ Schevile, 1922, 130)، ثم لتعرضها لضغط عسكري عثماني وخشيتها من فقدانها، فانزعج السلطان مراد الثاني من سيطرة البنادقة على سالونيك لاسيما أن ذلك يعني احكام البنادقة سيطرتهم على طرق المواصلات التي تربط الاناضول بالروملي من

خلال السيطرة على ممرات بحر ايجه، غير ان حاجته للوقت لتنظيم قواته لاسيما البحرية منها جعلته يوافق في 4 ايلول 1430 على عقد (صلح لابسكي) بين الطرفين تقرر فيه الاعتراف بالسيادة العثمانية على مقدونيا، ودفع البندقية الجزية السنوية مقابل بقاء السيادة البندقية على سالونيك لقاء مائة الف اقجه (عملة فضية هي الوحدة النقدية الاساسية في الدولة العثمانية) (خليل اينالجيك ،2002، ص333) تدفعها البندقية للدولة العثمانية (أحمد، 2012، 4؛ الحويري، 2001، 113). وما ان أتم السلطان استعداداته العسكرية، حتى خاطب السفير البندقي قائلا: "بما ان سالونيك كانت تحت حكم جدي بايزيد فهي تعد ملك موروث لي ولا استطيع ان اقبل اعادتها الى بيزنطة مرة اخرى ولا اصادق على حق الآتيين في ادارتها وفي حالة عدم انسحابكم منها سآتي واخرجكم منها" (احمد، 2012)، وبالفعل فقد تحرك اليها ودخلها في 29 اذار 1430، واستمرت المناوشات بين العثمانيين والبنادقة حتى توصلوا الى اتفاق في 30 حزيران 1430 وافق فيه البنادقة على بقاء سالونيك تحت السيادة العثمانية ودفع الجزية السنوية للحكومة العثمانية مقابل اعتراف الاخيرة بسيادة البنادقة على ليبانت وممتلكاتهم الاخرى في الادرياتيك، فضلا عن موافقتهم على تنقل التجار البنادقة في كافة انحاء الدولة العثمانية (Shaw, 1976, 47). وأعقب ذلك انتهاج العثمانيين سياسة أكثر هجومية في البلقان، فقد أدرك العثمانيون ان الاراضي الواقعة الى الجنوب من الدانوب لا يمكن ان يأمنوا عليها الا اذا حكموها بصورة مباشرة، وبناء على ذلك اندفع العثمانيون واستولوا على مدينة سيريز عام 1433 واقاموا فيها حكما عثمانيا مباشرا يغطي وسط وجنوب البانيا (اينالجيك،2002، 35؛ Shaw, 1976, p48).

وخلال مرحلة الصراع العثماني – المجري (1438 –1445) أدت البندقية نشاطا كبيرا فيما يمكن تسميته بـ(الحرب بالنيابة)، اذ كانت كثيرا ما تعتمد على الآخرين في القتال المباشر، في حين أقتصر دورها على المساعدة البحرية أو المالية، ففي العام 1439 وعلى أثر الانتصارات التي حققها القائد المجري جان هونياد J. Hunyad على العثمانيين في معارك هرمنشتاد Hermanstad وواساج Vassag (المحامي،156،2009)، الأمر الذي شجع البابا يوجين الرابع Eugen IV الى عقد مجمع في فلورنسا في العام ذاته، وأخذ منذ تلك اللحظة يدعو لحملة صليبية وارسل مندوبه الخاص الكاردينال جوناكي تورشلو J. Torzello الى جميع انحاء أوربا للحث على قتال العثمانيين (احمد، 2012، 7؛ الحويري، 2001، 115)، فكانت البندقية من أوائل المنضوين في ذلك الحلف، وكانت خطة الحلفاء تقضي بأن تهاجم اساطيلهم منطقة المضائق وتسيطر عليها كي تقطع على السلطان مراد طريق العودة من أوربا، غير ان السلطان تنبه لذلك وعجل بالعودة متفاديا الحصار البحري ، لكنه في عودته

تعرض لهزيمة في نيش في تشرين الثاني 1443 فخسر على أثرها صوفيا، واضطر بعدها السلطان لطلب الصلح تحسبا من هجوم قد يشنه عليه امير القرمان من الخلف، لهذا عرض الصلح بشروط مغرية على هونياد ووافق الأخير، فتم توقيع معاهدة سيغدين Sigdenفي 13 تموز 1444، تضمنت ان تعيد الدولة العثمانية صربيا بجميع مدنها وقلاعها وكذلك ولاشيا الى امرائها، وأن يكون أمد الصلح بين الطرفين عشر سنوات (شوجر، 1998، 44؛ فاتان، 1993، 102–104؛ الرشيدي، 2013، 34، الحويري، 2001 ،116).

لم يمض سوى عام واحد على تلك الاتفاقية، وعلى اثر ورود الأخبار باعتزال السلطان ألحكم على أثر وفاة ابنه علاء الدين وانزوائه في مغنيسيا وترك العرش لابنه الشاب السلطان محمد قليل التجربة؛ وجد البابا أن الفرصة سانحة لتشكيل تحالف جديد، وعدم الاعتراف بمعاهدة سيغدين بحجة ان المعاهدة عقدت من دون علمه (احمد، 2012، 7)، وتحت تأثير الكاردينال جوليان سيزاريني j. sezarini أحد رجال الدين التابعين للبابا، الذي أخذ يحرض أمراء أوربا: بأن نقض العهد مع العثمانيين ما هو إلا "قربة الى الله" على حد وصفه (الرشيدي، 2013، 35)، لاسيما أن المعاهدة المعقودة معهم باطلة، وانه "باسم البابا يبرئ ذمتهم من نكثها ويبارك جنودهم ... ومن نازعه ضميره بعد ذلك وخشي الاثم فانه يحمل عنه وزره واثمه" (الرشيدي، 2013). وتأسيسا على ذلك؛ توسعت دائرة التحالف فضمّ كل من فرنسا وانكلترا والبندقية والمجر وصربيا والامبراطورية البيزنطية فضلا عن امير القرمان، وكانت الخطة تقضي أيضا ان تباغت سفن البندقية والبابوية منطقة المضائق سرا لتحول بين السلطان مراد والعبور الى أوربا (محمود، 2007، 158)، وقد قصف الاسطول البندقي أدرنه بنيران كثيفة واغلق مضيق الدردنيل، فحال دون نقل القوات العثمانية من آسيا الصغرى إلى الأراضي الأوربية (شوجر، 1998، 45) وفي 9 تشرين الثاني وصلت جيوش الحلفاء الى مدينة فارنا Varna البلغارية وكانت تحت سيادة العثمانيين، وهو الوقت نفسه الذي كان فيه السلطان مراد قد ترك عزلته وتحرك من مغنيسيا على رأس أربعين ألفا من قواته عابرا المضيق من جهة القسطنطينية من جوار غلطة، بسفن استأجرها من جنوا، وبعد ان اتفق مع الجنويين على منحهم دوك ذهبي واحد عن كل مقاتل يتم عبوره؛ وصل فارنا في اليوم نفسه الذي حاصرت فيه قوات الحلفاء تلك المدينة مفاجئا قوات العدو بسرعة حركته (احمد، 2012، 15)، ومما يذكر هنا ان المؤرخ التركي خليل اينالجيك أشار الى مساعدة الجنويين للسلطان دون التطرق الى مسألة الايجار(اينالجيك ،2002، 209؛ محمود، 160). وفي

10 تشرين الثاني 1444 اصطدم الطرفان بمعركة دامية دارت لصالح العثمانيين وتشتت شمل التحالف عند تلك الهزيمة (شوجر، 1998، 45؛ المحامي، 2009، 158؛ Shaw,1976,53-54).

ثانيا. موقف البندقية من الفتح العثماني للقسطنطينية عام 1453:

كانت السيطرة على القسطنطينية ضرورة سياسية واستراتيجية، ذلك ان وجود دويلة معادية وسط املاك السلطنة وفي موقع استراتيجي غاية في الأهمية؛ يهدد أمن الدولة على الدوام، كما ان وجود حاكم مسيحي وبطريرك للكنيسة داخل الدولة مستقلين عن السلطنة من شأنه ان يجعل رعايا السلطان المسيحيين وهم اغلبية السكان مادة للثورة المضادة. بناء على ذلك كانت اولى الاتجاهات التي فكر فيها السلطان محمد الثاني 1451-1481 في مجال التوسع العسكري، عند اعتلائه عرش الدولة العثمانية؛ محاولة القضاء على الدولة البيزنطية والسيطرة على القسطنطينية، مستغلا عوامل منها حالة الضعف والتداعي التي كانت تمر بها (ياغي، 1996، 23)، وما ينهض دليلا على ذلك الضعف مراسلات الاستغاثة وطواف الاباطرة مانويل الثاني 1391-1435 ويوحنا الثامن 1425-1448 وقسطنطين الحادي عشر 1448-1453 في دول أوربا طالبين المساعدة ضد العثمانيين، لكن دون اية نتيجة تستحق الذكر (فهمي، 1993، 69؛ Ostrogorsky, 1965, 562-63)، وفضلا عن ذلك محاولة استغلال حالة الانقسام الديني بين الكنيستين التي لم تستطع ان تخففها المجامع الكنسية وآخرها مجمع ترارا (Tarrara synagogue) عام 1438، التي ستحول دون اي تفاهم او ابداء اية مساعدات عسكرية من دول أوربا الغربية الى البيزنطيين الأمر الذي كان يشجع العثمانيين على الاندفاع (فهمي، 1993، 56، 60). وبقدر ما كان لهذه العوامل من تأثير في دفع السلطان لمهاجمة القسطنطينية؛ فقد كانت هناك اسباب عجلت في ذلك التفكير وعمقته في ذهن السلطان، فما ان اعتلى السلطان عرش الدولة حتى وصل مبعوث الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر مطالبا اياه بزيادة ما كان يدفعه من نفقات اعاشة الامير اورخان بن سليمان، مستغلا حالة الصراع الناشب بين السلطان وامير القرمان في الاناضول، والا فانه سيطلق سراحه، الامر الذي سيؤدي بالتأكيد الى مطالبته بالحكم ويكون سببا في نشوب حرب أهلية، فاثار ذلك الابتزاز السلطان محمد الثاني، واخذ يتحين الفرص للانقضاض على القسطنطينية، ومما زاد الامر سوءا مهاجمة قوة بحرية بيزنطية من ثلاث سفن قوة عثمانية واسر مجموعة منهم وبيعهم في القسطنطينية (باربارو، 2002، 83،85؛ محمود، 2007، 185).

كانت اولى الخطوات التي اقدم عليها السلطان أن أصدر أوامره بإنشاء قلعة (روملي حصار) على الضفة الاوربية لمضيق البسفور بين (اذار – آب 1452)، قبالة قلعة (اناضوللي حصار) التي تم بناؤها في عهد السلطان بايزيد الاول عام 1395 على الجانب الآسيوي للمضيق (حسون، 1994، 32؛ ديل، 136؛ Schevile, 1922, 197)، ثم أصدر أوامره بتعيين فيروز اغا قائدا للقلعة الجديدة ومعه 400 من خيرة جنود الانكشارية، وزوّده بتعليمات تقضي بعدم السماح لأية سفينة بعبور المضيق دون تفتيشها ودفع الضريبة (الصفصافي، 1999، 29). وفي الواقع فان سفن البندقية لم تعر هذا القرار في بدايته أدنى أهمية، لكن لما طبق القرار على القبطان البحري البندقي انطونيو ريزو A. Rizzo الذي كان قادما من البحر الاسود في 26 تشرين الثاني 1452، والذي عندما رفض المثول للتفتيش او دفع الضريبة؛ ألقت السلطات العثمانية القبض عليه، وتم ارساله الى أدرنه حيث سجن هناك، ثم صدر بحقه الامر السلطاني بخوزقته على وتد لمدة 14 يوما، مع اطلاق سراح الباقين ممن كانوا معه، الأمر الذي استفز الحكومة البندقية كثيرا، فكان الفعل ورد الفعل نذيرا بصراع عنيف أخذت ملامحه تلوح بين الدولتين (اوزتونا، 1988، 106؛ باربارو، 2002، 84؛ الشناوي، 1969، 745؛ الحويري، 2001، 131).

وقبل الولوج في تفاصيل الدور البندقي في الدفاع عن القسطنطينية لابد من القول: أن اهتمام البندقية بأمر انقاذ القسطنطينية كان لدوافع خاصة بها، فالبندقية كانت لها جالية كبيرة واملاك ومستعمرات في الشرق وقد أدركت بان من مصلحتها أن تبقى القسطنطينية بيد قوة ضعيفة عاجزة كالامبراطورية البيزنطية، بحيث تستطيع ان توسع نفوذها وتمارس تجارتها في ظلها فتأمن على ممتلكاتها في الشرق منها (الرشيدي،2013، 75)، وبناء على ذلك، وفي اثناء مرحلة الاستعدادات البيزنطية لمواجهة التحضيرات العثمانية؛ وصل في شباط 1452 الى القسطنطينية كابريل تريفكسان C. Trivixan يرافقه الفارس زكريا جريوني Z. Groni بسفينتين، كان حاكم البندقية قد ارسلهما لمرافقة السفن التجارية الثلاثة القادمة من المستعمرات البندقية عند نهر تانا في منطقة بحر آزوف، لترسوا في القسطنطينية وتمد المدينة بالمواد الغذائية (باربارو،2002، 85).

ووصلت في الشهر ذاته من كانديا (كريت) ثمان سفن بندقية يقودها الربان الوفسكي دييدو A. Diedo محملة بالمواد الغذائية من أجل توفير وسائل العيش لسكان المدينة، وفي المدة ذاتها وصل 700 مقاتل ايطالي يقودهم القبطان الجنوي جيوفاني جوستنياني J. jostiniani الذي عينه الامبراطور قائدا اعلى للفرق المقاتلة، كما وصلت في 26شباط سبع سفن من البندقية وكريت يقودها القبطان بيترو افنزو (كنروس، 2003، 109؛ عطا، د.ت، 197؛ Ostrogorsky, 1965, 569)، وفي 13

كانون الاول 1452 واثناء اجتماع تم على ظهر احدى السفن البندقية حضره البايل Bayle البندقي (لقب يطلق على القنصل البندقي في المستعمرات البندقية في البحر المتوسط والقسطنطينية منذ العصر الوسيط، من مهامه ادارة شؤون الجالية البندقية بصورة مستقلة عن ادارة الدولة صاحبة السيادة، وفض الخلافات التي تنشأ سواء بين افرادها او مع رعايا الدولة) (باربارو، 2002، هامش 1 ص90) جيروليمو مينوتو J. Minoto وعدد من النبلاء والتجار البنادقة فضلا عن ربابنة السفن البندقية وهم جاكومو كوكو الكبير J. Coco وتريفكسان والوفيكسي دييدو ومعهم عدد من القادة البيزنطيين، وكانت الغاية من الاجتماع الطلب من البنادقة عدم مغادرة سفنهم للقسطنطينية بما فيها السفن التجارية الخاصة، وابداء المساعدة ضد العثمانيين، وقد أكد البايل للحاضرين أن موافقتهم ستكون موضع سعادة الدوق فرانشسكو فوسكاري F. Foscari (1423–1457) رئيس الجمهورية البندقية، فاعلن الجميع استعداهم لمواصلة القتال (باربارو، 2002، 90، 92–93). أعقب ذلك الاجتماع اجتماع موسع للجالية بدعوة من البايل في كنيسة القديس مرقص في القسطنطينية، ضم ما يزيد على عشرين نبيلا بندقيا، تقرر فيه ارسال جوان ديوسنايجي J. Diusnaige مبعوثا الى البندقية لإخبار دوق البندقية ما دار في الاجتماعين وتفاصيل الموقف العثماني من القسطنطينية، كما اعقب ذلك توقيع اتفاقية بين البايل البندقي والامبراطورية في 26 كانون الثاني 1453، تعهد فيها الاول بإبداء المساعدة للطرف الثاني ضد العثمانيين (الحويري، 2001، 139؛ باربارو،2002، 100).

ومن الجدير قوله ان ديوسنايجي سافر الى البندقية في اوائل عام 1453 وقدم تقريره الى الدوج فوسكاري رئيس الجمهورية، الذي دعا بدوره مجلس السناتو البندقي الى جلسة عقدت في 19 شباط 1453 تقرر فيها ابداء المساعدة للقسطنطينية وارسال سفينتين كبيرتين تحمل كل واحدة منها 400 مقاتل على ان تبحران في 8 نيسان ترافقهما 15 سفينة صغيرة، ويقود الاسطول القبطان الشهير جاكومو لوريدان، ويتحمل نفقات هذا الاسطول البالغة 16,000 دوكا التجار العاملين في اسواق بيزنطة وموانئ البحر الاسود (باربارو، 2002، 100).

انطلاقا مما سبق، عندما حاصر السلطان محمد الثاني القسطنطينية بين 6 نيسان – 28 ايار 1453، كانت السفن الخمس التابعة للبندقية راسية في مياه القسطنطينية، وبمجرد ان طلب الامبراطور البيزنطي من البايل البندقي جيرولامو منتو ان تشترك في الدفاع عن المدينة لبت الدعوة (الشناوي، 1969، 744)، بل واشترك البايل بنفسه فضلا عن الجالية البندقية في عمليات مقاومة العثمانيين، بعد ان اتخذوا لأنفسهم موضعا خاصا وهو الدفاع عن الجهة اليسرى من المدينة في المنطقة الممتدة من باب

القديس رومانوس شمالا حتى باب سلمبريا جنوبا، كما قاموا بحفر خندق أمام اسوار المدينة تم الانتهاء من حفره في اذار 1453، فكان ذلك الخندق سببا في فشل الهجوم البري الذي شنه الفاتح على المدينة في منتصف نيسان عند وادي ليكوس، على الرغم من ان الجيش العثماني قد غمره بالأحجار والرمال، فكان البنادقة يهبون ليلا مع البيزنطيين لإصلاح وردم الاجزاء التي تضررت من الاسوار في النهار (باربارو،2002، 38). وفي نهاية نيسان استقر رأي الامبراطور وحلفاؤه البنادقة على ضرورة شن هجوم معاكس لتدمير السفن العثمانية المحاصرة للمدينة، لكن السفن العثمانية فاجأت السفن البندقية – البيزنطية بإطلاق القذائف عليها، ففشل الهجوم وغرقت عدد من سفن المدافعين، ومن الجدير ذكره أن أصابع الاتهام في افشاء سر لحظة الهجوم وجهها الامبراطور البيزنطي والبنادقة الى الجنويين، غير ان الامبراطور كان مضطرا للصمت خوفا من تزعزع جبهته الداخلية (عطا، د.ت، 200).

وفي الاسبوع الاول من شهر آيار استطاع البيزنطيون والبنادقة صد هجوم السلطان على المدينة لاقتحامها، والذي أسفر عن اضرام النار في بوابة القصر الامبراطوري (قصر بلاشرناي Blachernai)، فضلا عن تعرض أجزاء من الأسوار للخراب، فعكف البيزنطيون والبنادقة على اصلاح الاضرار، بعدها بخمسة أيام تمكن المدافعون من صد هجوم بري، فأوحى ذلك الفشل العثماني الى السلطان محمد بضرورة نقل جزء من قواته قبالة بوابة القديس رومانوس التي تقع مسؤولية الدفاع عنها للمقاتلين البنادقة والجنويين وكان عددهم لا يتجاوز 300 مقاتل (باربارو،2002، 43). وعندما تأخرت المساعدة البندقية حتى 3 ايار؛ قرر الامبراطور البيزنطي ارسال موفد الى نجربونت حيث القاعدة العسكرية البندقية في بحر ايجه مستوضحا أسباب التأخر وطالبا المساعدة، لكن المبعوث عاد في 24 ايار يائسا من أية مساعدة، وفي الحقيقة ان المساعدة وصلت بعده لكن بعد فوات الاوان وسقوط المدينة، فعادت من حيث أتت (فهمي، 1993، 105؛ فاتان، 1993، 120). وما يمكن ان يضاف من تفسير لأسباب تأخر المساعدة البندقية: يمكن القول ان البندقية ذاتها كانت مشغولة بحربها ضد ميلان، ومع ذلك فإنها أعدت مجموعة من السفن اناطت قيادتها بالقبطان جاكوبو لوريدانو J. Loredano وانتظرت حتى تصلها السفن التي وعد بإرسالها البابا وملك نابولي، ولما وصلت سفن البابوية الثلاثون تحرك الاسطول ووصل جزيرة خيوس، فهبت عليه عاصفة عرقلت مسيرتها مدة من الزمن، وما ان استأنف الاسطول مسيره حتى التقت به السفن الهاربة من القسطنطينية، فأبلغت قائده بسقوط المدينة، فعاد ادراجه (نوار، 1991، 51؛ الرشيدي، 2013، 76). في حين يرى البعض أن من اسباب تثاقل البندقية في ارسال المساعدة، يعود الى

حالة الغضب التي اعترت حكومتها بعد ان عدّل الامبراطور البيزنطي قسطنطين عن الزواج بابنة رئيس الجمهورية البندقية قبيل حصار القسطنطينية، خشية ان يتهم من رعاياه بالميل الى اللاتين الغربيين، فعدّ البندقيون ذلك العدول اهانة لهم (فهمي، 1993، 71).

وفي الواقع كان الحصار البري الذي فرضه الجيش العثماني محكما، إذ نصب حول المدينة 14 بطرية مدفعية، كانت تمطر المدينة بالقذائف منذ 12 نيسان، وتوصل العثمانيون من جهة البحر لفكرة ملخصها نقل المراكب برا خلف هضاب غلطه من ميناء بشكطاش حتى القرن الذهبي، وذلك بهدف اجتياز السلسلة الموضوعة لمنعه، وبهذه الطريقة تم نقل سبعين سفينة في ليلة واحدة، وبهذا الشكل تم اطباق الحصار على المدينة لمدة ستة اسابيع والقصف المتواصل، فتبلورت مواقع اقتحام المدينة بين تكفور سراي وباب ادرنه، وعند باب القديس رومانوس وبالقرب من الباب الثالث، وبين 29–30 ايار استطاع العثمانيون اقتحام المدينة والسيطرة عليها (سرهنك، 1894، ص507؛ طقوش، 2008، 107–110؛ حسون ، 33–36؛ ويراجع لتفاصيل أوفى حول الحصار: باربارو ، 35–48، 81–174. ومن الجدير بالذكر أن المؤلف نيقولا باربارو هو طبيب وجراح من عائلة بندقية نبيلة وشاهد عيان على احداث الحصار اذ كان في القسطنطينية آنذاك وسجل يومياته التي عاصرها).

وبقدر ما يتعلق بالبندقية من نتائج الاجتياح، فبعد ان استولى العثمانيون على المدينة، تم اعدام البايل البندقي جيرولامو منتو وابنه وعدد من افراد الجالية البندقية، وأسر عدد آخر منهم، وتم بيعهم ونهبت دورهم واستبيح حيهم الخاص في القسطنطينية، وقدرت خسائر البندقية آنذاك 200,000 بندقي (ديل، د.ت، 137. ويراجع للتفاصيل حول اعداد واسماء القتلى والاسرى والهاربين من الجالية البندقية: باربارا، 182–185).

كان وقع الاجتياح العثماني للقسطنطينية ثقيلا على البندقية، ودعا الدوق فرانشسكو فوسكاري مجلس الشيوخ الى الاجتماع، وألقى خطابا حماسيا دعا فيه الى اعلان الحرب فورا على الدولة العثمانية (الشناوي،1969، 745)، لكن الشيوخ آثروا التريث خشية على مصالحهم التجارية، واستقر الرأي على ارسال بارثلميو مارسللو B. Marcello مبعوثا للتفاهم مع الحكومة العثمانية، بل وتقديم الاعتذار عما بدر من الجالية البندقية في القسطنطينية، ثم التفاوض حول ما يمكن ان يضمن ديمومة الامتيازات البندقية في الدولة العثمانية (ديل، د، ت، 137)، وقد نجح المبعوث البندقي في عقد معاهدة شاملة مع الحكومة العثمانية في

18 نيسان 1454 وقد تم تأكيد مضامينها عدة مرات بين الطرفين في سنوات لاحقة، فيشار ان المعاهدة عقدت يوم 15 نيسان (Sousa, 1933, 52)، وتضمنت البنود الاتية:

1. اطلاق سراح البنادقة المحتجزين لدى السلطات العثمانية منذ سقوط القسطنطينية واطلاق سراح نسائهم اللواتي ألحقن بالحريم السلطاني .

2. تعيين قنصل بندقي (بايل Bayle) ورئيس لجاليتهم يعمل كمستشار وقائم بالأعمال في كل ما يتعلق بمواطنيه في الشؤون العامة والتجارية، وآخر خاص بالشؤون القضائية، يكون مركزهم القسطنطينية.

3. يعطي السلطان تعليمات لحاكم القسطنطينية لكي يذلل للبنادقة ومعتمدهم كل الصعوبات التي تعترضهم .

4. منح البنادقة حرية التنقل في بلاد السلطان العثماني وحرية الدخول الى الموانئ لاسيما ميناء القسطنطينية دون أية صعوبة .

5. تقرير دفع الجزية المعينة للسلطان لقاء دخول سفن البندقية البحر الاسود وقدرت هذه الجزية بصفة مبدئية بحوالي 10,000 دوكا سنويا .

6. تتولى السلطات المحلية مهمة الانقاذ في حالة حدوث حالات غرق نظير رسوم معينة.

7. يدفع البنادقة رسوما جمركية على مشترياتهم ومثلها على مبيعاتهم في الأراضي العثمانية وقدرت بحوالي 2%.

8. لم تعترض السلطات العثمانية على تجار البندقية في الرقيق الابيض من منطقة البحر الاسود، وتصديره للخارج لاسيما مصر، ولكن نصت الاتفاقية على انه اذا تم البيع داخل نطاق بلاد السلطان يكون هناك تحصيل جزية لا تقل عن 2% من المباع .

9. يمنح البنادقة الامتيازات نفسها لرعايا السلطان العثماني في البندقية واملاكها الاخرى والبلاد التي تشرف عليها، كما يسمح للأتراك بالتعامل مع أسواق البندقية نفسها أملا في ان يعامل البنادقة وتجارهم بالمثل .

10. حمل البنادقة على حرية تصدير القمح من بلاد السلطان العثماني لقاء جزية سنوية قدرها 500 دوكا (يراجع نص المعاهدة: فهمي، 1960، 437–439).

ولما كانت البندقية قد أطمأنت على مصالحها؛ رفضت قبول الدعوة التي قدمت لها من البابا نيقولا الخامس Nicola V عام 1457بالاشتراك بحملة صليبية ضد العثمانيين، واخفت سرورها حين رأت غريمتها التاريخية جنوا تسحق امام العثمانيين الذين انتزعوا منها مستعمرات خيوس واينوس ولزبوس الامر الذي يعني تهديد وجودهم برمته في منطقة البحر الاسود، وافادت من هزيمتهم بان نالت من السلطان محمد الفاتح سلسلة من الامتيازات الاخرى، منها احتكار تجارة الشب في فوسيا واستغلال مناجم النحاس، وهكذا حول البنادقة دفة سياستهم من الصدام الى الوئام لكسب ود الدولة العثمانية والحصول على أكبر قدر من الامتيازات (محمود، 2007، 194؛ ديل ، د. ت، 137؛ فاتان، 1993، 127).

ثالثا. العلاقات العثمانية – البندقية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر:

يمكن لديمومة الامتيازات التجارية؛ ان تبقي العلاقات قائمة بين الطرفين، غير ان استمرار التوسع العثماني كثيرا ما أدى الى التوتر في تلك العلاقات (الشناوي، 1969، 746)، فمنذ صيف عام 1457 أخذت القوات العثمانية تتوغل في ألبانيا وهي إحدى مناطق النفوذ البندقي (فاتان، 1993، 130)، كما سقطت في العام 1460 دوقية اثينا بيد العثمانيين، وفي السنة ذاتها فتح السلطان محمد الفاتح بلاد المورة، كما شن العثمانيون في تشرين الثاني من العام نفسه هجوما على مدينة ليبانت، وشنّو هجوما على البوسنة ايضا، وبتلك العمليات العثمانية أصبحت موانئ البحر الادرياتيكي في خطر متواصل (ديل، د. ت، 138؛ فريدون، 1999، 25). كما ان الزيادة في التسليح والتحصينات التي يقوم بها السلطان كثيرا ما كانت تثير شكوك البنادقة، ومن ذلك بناؤه ميناء للسفن الحربية في قاديرجا لماني في اسطنبول، وتشييد حصنين اضافيين على ضفتي الدردنيل، الامر الذي جعل بحر مرمرة واسطنبول في مأمن من الهجمات البحرية للبنادقة (Shaw, 1976, 65, 76).

وحدث ان سرق احد الرقيق التابعين لوالي أثينا العثماني مال الخزينة الحكومية البالغ 100,000 أقجة، ولجأ الى مدينة كورون التابعة للبنادقة فآواه حاكمها جيروم فالا ريزو J. Valarezo وقاسمه المال المسروق، وعندما طالبت به الحكومة العثمانية رفض حاكم المدينة تسليمه بحجة تنصره (محمود، 2007، 205؛ المحامي، 2008، 170)، فما كان من الحكومة العثمانية الا وارسلت في 3 نيسان 1463جيشا يقوده عيسى بك والي المورة واستولى على مدينة ارجوس التابعة للبنادقة آنذاك، فردت البندقية في 22 تموز بان شنت قواتها هجوما على المورة، وبدأت بذلك الحرب العثمانية – البندقية التي استمرت 16 عاما (1463–1479) وامتدت على جبهات عدة (الشناوي، 1969، 663).

شن البنادقة هجوما بريا – بحريا على مدينة ارجوس أوائل آب 1463 واستطاعوا انتزاعها من العثمانيين، كما استولوا أيضا على جزائر لمنوس وآمروس وساموتراس ووصلوا الى مياه الدردنيل (ديل، د. ت، 138؛ محمود، 2007، 205)، كما شنوا هجوما على كورنتا وحاصروها حتى تشرين الثاني 1463 لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها بعد وصول التعزيزات العثمانية بقيادة الصدر الاعظم محمود باشا، فانسحبوا من امام المدينة، وفي 24 ايار شنوا هجوما على ليسبوس لكنهم فشلوا ايضا في الاستيلاء عليها (فاتان، 1993، 140).

وتأسيسا على قوة السيطرة العثمانية في جبهة الموره؛ فقد بقيت الامور فيها مستقرة حتى عام 1476، إذ ما ان فشلت مفاوضات الصلح بين الطرفين، ولما لم يبق خارج السيطرة العثمانية في شبه جزيرة المورة سوى مدينة ليبانت؛ ارسل لها السلطان قائده سليمان باشا الخادم وقام بمحاصرتها، لكنه اضطر للانسحاب من امامها في صيف عام 1477 بعد وصول تعزيزات من البندقية (صفوت، 1948، 159)، كما ان حصاره كان بريا في حين كان جانب البحر مفتوحا الامر الذي كان يسمح بوصول الامدادات، ويبدو ان هدف السلطان من حصار مدينة ليبانت اشغال البندقية وصرفها عن مهاجمة السواحل العثمانية من جهة، ومن جهة اخرى فتح جبهة جديدة على البندقية فضلا عن الجبهة الرئيسة المفتوحة قريبا من الاراضي البندقية ذاتها، وبالتالي استنزاف قوتها في جبهتين مختلفتين، مما يسهل معه تحطيم القدرات البندقية (جميل، 2002، 143).

كان هناك محور آخر للقتال هو الجبهة اليونانية وجزر بحر أيجه، فخلال شهر نيسان 1464 قام البنادقة بحصار جزيرة مدللي لستة اسابيع لكنهم اضطروا للانسحاب امام تحرك الاسطول العثماني لنجدتها، وفي صيف العام ذاته استولى الاسطول البندقي على جزائر طاشوز وسمادرك وساموتراس وقام بمهاجمة مدينة اينوس ودمرها (جميل، 2002)، وفي اليونان زحف جيش بندقي نحو مدن بيريه واثينا، ثم قاموا بالزحف على مدينة باتراس بجيش يقوده جاك باربارِيجو J. Barbarigo ، لكنهم ارتدّوا أمام قوة الجيش العثماني فيها بقيادة عمر بك، فاضطروا للانسحاب في آب 1464 متوجهين الى مركز قوة البنادقة الرئيس في جزيرة نجربونت كبرى المستعمرات البندقية في بحر ايجه (جميل، 2002، 143؛ Thayer, 1908, 190).

وفي عام 1470 حاول العثمانيون توجيه ضربة قاصمة للبنادقة من خلال مهاجمة قاعدتهم الرئيسة جزيرة نجربونت، فوجهوا اسطولا ضخما يزيد على 300 سفينة مختلفة الاحجام وجيش يزيد على70.000 مقاتل، وبعد قتال متقطع استمر ما يزيد على 20 يوما انتصر العثمانيون في 12 تموز 1470 واستولوا على الجزيرة، فكان لفتحها دوي هائل في أوربا لأنها أزالت الاعتقاد

السائد آنذاك بأن العثمانيين قوة برية لا تقهر فقط (سرهنك، 1894، 515؛ الشناوي، 1969، 664؛ اوزتونا ،1988، 149-150؛

Rose, 2002, 110-112; Thayer,1908, 190-191)

حاول البنادقة أمام هذه الهزائم ان يعيدوا ترتيب أوراقهم الدبلوماسية للبحث عن حلفاء يعززون موقفهم في صراعهم ضد العثمانيين ،فيموا وجوههم بادئ ذي بدء تجاه أوزون حسن (حسن الطويل) 1454-1478 حاكم دولة الآق قوينلو (الخروف الابيض) في فارس وارمينيا، مستغلين حالة الصراع بينه وبين السلطان محمد الفاتح، فتبادل الطرفان الوفود منذ بداية الحرب، اذ ارسل البنادقة أول مبعوثيهم وهو كيرني kirneky الى السلطان اوزون حسن، بالمقابل ارسل اوزون حسن أول مبعوثيه ويدعى مامناتزب في اذار 1464 (فريدون، 1999، 26؛ نوار،1991، 57)، واتفق الطرفان على فتح جبهتين على السلطان محمد الفاتح، غير ان حراكا على ارض الواقع في هذا السياق لم يتم، حتى بدت البندقية تعاني الهزائم فأرسلت مبعوثا آخر يدعى امبتروس كونتاريني A. Contarini في 23 شباط 1473، ولما كانت الرقابة على الاراضي التركية مشددة، اضطر ان يستغل الطريق البري عبر أوربا الوسطى ثم بلاد الكرج ووصل الى أوزون حسن في اصفهان بعد تسعة اشهر من رحلته (الرشيدي،2013، 261)، وهذا يعني أن صعوبة الاتصال أضعفت التنسيق بين الطرفين من جانب، كما ان ذلك الحلف كان ضعيفا منذ ولادته من جانب آخر لاسيما بعد ان تمكن العثمانيون من هزيمة اوزون حسن في معركة قرب أرزنجان ومرة أخرى في موقعة اوتلوكبيلي في العام ذاته (فاتان،1993، 141-142؛ المحامي،2008، 173).

كان الاتجاه الثاني الذي تحركت اليه البندقية هو البابوية ،التي بذلت بدورها جهودا جبارة في مقارعة العثمانيين، فمن المهم القول ان البابا باول الثاني Paul II كان بندقيا واستبشر البنادقة بانتخابه، اذ تداخل البعدين الديني – القومي في شخصيته، لهذا كان متطرفا في كرهه وعدائه للعثمانيين، وآية ما نذهب إليه أنه ما ان تمت مراسيم تتويجه حتى جمع مجلس الكرادلة، واستقبل سفراء الدول المهنئين واستشار الجميع بأمر القيام بحملة مقدسة ضد العثمانيين، وانتهز فرصة التجمع وفرض على كل واحدة من تلك الدول على قدر ثروتها ان تسهم بالمال لإعداد الجيش الموعود، وجاءت حصة البابوية والبندقية أعظم من حصص الدول الاخرى (الرشيدي، 2013، 253-254)، ولما كان الموضوع قد فاجأ السفراء؛ فقد طلب هؤلاء مزيدا من الوقت كي يتصلوا بحكوماتهم ليحصلوا على التخويل اللازم للبت بالموضوع، ثم ما لبث البابا ان انشغل عن الامر بمحاربة الهراطقة أتباع المصلح التشيكي

هوس Hus (1369–1415)، واستعان البابا بملك المجر ماتياس كورفن، وهو الحليف الوحيد للبنادقة في حربهم ضد العثمانيين، فبقيت البندقية تحارب العثمانيين منفردة، لكن ما ان تفرغ البابا من حرب الهراطقة حتى عاود الفكرة مرة أخرى، واستطاع توحيد الأمراء الايطاليين في حلف موحد، أعلن عن تشكيله في 22 كانون الاول 1470، وفي 24 حزيران 1471 عقد اجتماع عام في راتسبون، ألقى مجموعة من ممثلي الدول خطبا من ضمنهم الممثل البندقي بول موريسيني P. Morosini حاثا المجتمعين على الاستمرار في قتال العثمانيين، وتكرر الاجتماع مرة أخرى في 19 تموز وفيه تقرر تعبئة 200,000 مقاتل، لكن كل تلك المشاريع الطموحة بقيت حبرا على ورق إثر الوفاة المفاجئة للبابا في 26 تموز 1471 (جميل، 2002، 148–149).

وصل البابا سيكست الرابع Sixte IV الى الكرسي البابوي في تموز 1471، فواصل جهود سلفه في محاربة العثمانيين، فاستهل عهده بإرسال مندوبين من لدنه الى ملوك أوربا حاثا إياهم على نبذ الضغائن وتوحيد الجهود ضد العثمانيين، لكن جهود البابا في هذا الصدد لم تسفر عن شيء ذي بال لعمق المشاكل التي كان يرزح تحت وطأتها أولئك الحكام، وكان النجاح الوحيد الذي حققه البابا من تلك الجهود هو عقد تحالف ثلاثي ضم البندقية والبابوية ونابولي، فيما أطلق عليه حلف كارافا Caraffa Alliance وهو اسم المندوب البابوي الذي حمل وزر ابرامه (جميل، 2002، 147). فأنزل الحلفاء مضامين حلفهم على أرض الواقع، فأرسلت البندقية اسطولا يقوده بيترو موسينجو P. Mosengo الى الشرق، وأرسلت نابولي اسطولا مؤلفا من ست عشرة سفينة في منتصف حزيران 1472 بقيادة ركسنس Riqsens، فيما أرسل البابا تسع عشرة سفينة بقيادة اولفييه كارافا O. Caraffa، وانضمت لذلك الاسطول سفينتان من رودس فبلغ بذلك عدد سفن الاسطول خمس وتسعون سفينة، اذ اتفقت الاطراف الثلاثة على مهاجمة السواحل والمدن العثمانية (الرشيدي،2013، 274).

استهل أسطول الحلفاء نشاطه بالهجوم على مدينة أنطاليا، وهي من الموانئ التجارية الكبيرة في الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولما لم يستطيعوا الاستيلاء عليها اعملوا معول التخريب فيها بقصفها، ثم اتجهوا لمهاجمة مدينة أزمير وكانت من أغنى مدن الساحل الآسيوي آنذاك، وفي 13 ايلول 1472 رسى اسطول القائد البندقي موسينجو وحلفائه أمام أزمير، وبعد مقاومة محدودة أبداها حاكم المدينة بالبان بك استطاع الحلفاء احتلالها واحراقها، ثم انسحب أسطول الحلفاء للرسو في مستعمرة مودون البندقية (جميل، 2002، 147).

وفي العام ذاته وبتدبير من القائد البندقي موسينجو، وبواسطة شاب صقلي يعمل بخدمة البنادقة ومعه مجموعة من المقاتلين البنادقة تم احراق دار السفن في غاليبولي، وكادوا ان يحرقوا جميع السفن الراسية هناك؛ لولا ان السلطات العثمانية ألقت القبض عليهم، وتلقى موسينجو في العام 1473 أمرا من حكومته بان يحاول الاتصال بالسلطان أوزون حسن والأمير القرماني قاسم، ومد يد العون لهم في صراعهم ضد العثمانيين، وبمساعدة موسينجو الذي ارسل قائده فيكتور سورانزو V. Soranzo مع عدد من الجند والمدفعية؛ استطاع الامير القرماني ان يستولي على مدينة سلفنكه احدى المدن الساحلية المتوسطية جنوب غرب مدينة طرسوس (الرشيدي، 2013، 277-278).

ومن المهم القول ان اعمال موسينجو التخريبية كان لها ما يقابلها من الاعمال الانتقامية العثمانية ضد المدن والممتلكات التابعة للبندقية، فقد دخل اسحاق بك والي البوسنة بفرقة من الفرسان الى مدينة كارنيول وفريول التابعتين آنذاك للبنادقة ونهبهما، كما ان السلطان محمد الفاتح نفسه ما ان تم له هزيمة أوزون حسن في الشرق؛ قرر تأديب البنادقة في الغرب، فصمم على مهاجمتهم في شقودره التابعة للبنادقة آنذاك، وكان يتولى قيادة حاميتها القائد البندقي انطونيو لوريدانو A. Loredano، فأرسل حملة بقيادة سليمان الخادم لمحاصرتها في ايار 1474، لكن على الرغم من قسوة الحصار على الأهالي؛ اضطر سليمان الخادم للانسحاب أمام مناعة أسوارها وانتشار الاوبئة بين صفوف قواته، فضلا عن مساندة موسينجو للمحاصرين (كنروس، 2003، 147)، وتقديرا لما أبداه أهالي شقودره من ضروب الاحتمال والصبر والشجاعة؛ أمرت حكومة البندقية أن تعلق راية أهل شقودره في كنيسة القديس مرقص، وأنعمت على القائد لوريدانو بأرفع الشارات والرتب، كما طلبت من الرسام بول فيرونيز P. Virones أن يخلد هذه الواقعة بريشته (الرشيدي، 2013، 284). وفي حقيقة الأمر فان هذا الانتصار المحدود لم يكن ذا شأن يمكن ان يخفي وراءه ثقل الخسائر البندقية نتيجة المعارك أو العراقيل التي اصبحت تلوح أمام تجارتها، لهذا عزمت على فتح باب المفاوضات مع الحكومة العثمانية عام 1476، لكن محاولاتها باءت بالفشل أمام ثقل المطالب العثمانية التي نصّت على تسليم جميع المواقع التي استولت عليها البندقية منذ بدء الحرب بما في ذلك مدينة كرويا في البانيا، وان تدفع للعثمانيين 150 الف فلورن (الرشيدي، 2013، 284).

كان فشل عقد الصلح إيذانا ببدئ الأعمال العدائية بين الطرفين، فأرسلت البندقية أسطولا يقوده لوريدانو لمهاجمة السواحل العثمانية في آسيا الصغرى، وبالمقابل ردّت الدولة العثمانية بإرسال جيش يقوده سليمان باشا لمحاصرة ليبانت في شبه جزيرة

المورة ،(Shaw, 1976, 69P؛ محمود،2007، 205–206) لكن لما كان الحصار قد اقتصر على جهة البر دون البحر؛ فقد اضطر سليمان باشا الى رفعه عن المدينة عام 1477 دون أية نتائج، ويرى البعض ان السلطان منذ البداية كان يرمي من مهاجمة ليبانت أن يشغل الاسطول والقوات البندقية عن مهاجمة السواحل العثمانية (الرشيدي، 2013، 286).

اعقب السلطان حملة ليبانت بحملة أخرى الى كرويا في البانيا، التي كان يحكمها آنذاك غلام قاصر ابن المعارض الألباني الشهير اسكندر بك (وهو أحد أبناء جان كستريو أمير الجزء الشمالي من ألبانيا الأربعة الذين اخذهم السلطان مراد الثاني بعد غزو بلادهم رهائن على صدق ولاء أبيهم للدولة العثمانية، وتربى اسكندر بك في البلاط العثماني مظهرا الاسلام، ولما انشغلت الدولة بحربها ضد الصرب والمجريين هرب الى بلاده وقاد حركة عصيان أرهقت الحكومة العثمانية كثيرا (المحامي، 154–155، 158–159)، الذي قبل أن يموت جعل ابنه وملكه تحت وصاية البنادقة وحمايتهم، وفي أوائل أيلول 1477 أرسلت حكومة البندقية جيشا يقوده فرانشسكو كونتاريني F. Contarini لإمداد كرويا، غير ان ذلك الجيش تعرض للهزيمة امام العثمانيين، أعقبتها هزيمة اخرى تعرضوا لها على يد والي البوسنة مطلع تشرين الاول 1477 بالهجوم على مدينة فريول، ثم أخذ بالزحف نحو الغرب لغزو البندقية في عقر دارها (Shaw, 1976, 68–69).

أمام هذه الهزائم من جانب، وانتشار الأوبئة في البندقية واضطرار الكثير من الأهالي الى مغادرتها واللجوء إلى الأماكن القصيّة من جانب آخر، اضطرت حكومة البندقية إلى طلب فتح باب المفاوضات مع العثمانيين، فأرسلت توماس ماليبيري T. Malipieri مبعوثا الى الحكومة العثمانية في كانون الثاني 1478، وتم التفاوض بين الطرفين على جملة من الشروط للصلح، من ضمنها ان تدفع حكومة البندقية 6000 دوكا كجزية سنوية، وقد وافق المبعوث البندقي على كافة الشروط عدا موضوع الجزية الذي أوضح بأنه خارج نطاق تخويله، وطلب مهلة أمدها منتصف نيسان للتداول مع حكومته بشأن الرد الذي أجاب به العثمانيين (الرشيدي،2013، 288)، إذ اجتمع مجلس الشيوخ البندقي في 2 ايار 1478 وقرر الموافقة على مبلغ الجزية وقبول الصلح، لكن السلطان هذه المرة قرر عدم الموافقة بحجة التأخير لما بعد منتصف نيسان، وأن الظروف ايضا قد تغيرت، لأن كرويا التي يحاصرها الجيش العثماني منذ سنه، أصبحت تحت اليد كأمر واقع، وللموافقة على الصلح لابد من التنازل عن شقودره، التي ترك السلطان لها هي أيضا جيشا حاصرها في 18 ايلول 1478 (الرشيدي، 2013، 289)، فأضطرت الحكومة

البندقية أمام الضغط العسكري العثماني الى ارسال مبعوث جديد هو جيوفاني دريو G. Drio الى اسطنبول ووقع في 25 كانون الثاني 1479 مع الحكومة العثمانية معاهدة صلح تضمنت البنود الآتية:

1. تعاد جميع الممتلكات التي استولى عليها البنادقة الى أصحابها وينطبق الأمر ذاته على العثمانيين.

2. يتمتع التجار البنادقة بالحرية والأمن في كافة بقاع الدولة العثمانية والمياه الخاضعة لسيادتها، وكذلك الحال بالنسبة للتجار العثمانيين في الأراضي البندقية.

3. يكف العثمانيون عن معادات دوقية تاكسوس ولا يتعرضون لسفنها وفي الوقت ذاته تلحق بالبندقية.

4. تلتزم السفن العثمانية وكذلك البندقية بإظهار مظاهر الصداقة عند الالتقاء، ويحق للطرفين مطاردة سفن القراصنة التابعة للبلدين كليهما.

5. اذا حدث ان قام أحد أفراد الجالية البندقية بعمل مشين أو لم يوفي دينا؛ فلا يتحمل بقية أفراد الجالية وزر ذلك، وتلتزم حكومة البندقية بالمثل تجاه العثمانيين.

6. إذا التجأ أحد الأسرى البنادقة إلى الدولة العثمانية وأعلن إسلامه؛ فلا تعيده الأخيرة إلى البندقية، بل تدفع بدله عشر أقجات إلى أصحابه، وتعيد الدولة العثمانية اللاجئين البنادقة الذين يفضلون البقاء على نصرانيتهم.

7. يلتزم الطرفان بمساعدة البحارة إذا ما تحطمت سفنهم على السواحل سواء العثمانية أو البندقية وإعادة اموالهم اليهم.

8. اذا توفي أحد افراد الجالية البندقية ولم يترك وريثا، فان أمواله تسلم إلى قنصل البندقية في المنطقة، أو أحد أفراد الجالية البندقية من المتواجدين في المنطقة في حال عدم وجود القنصل حتى تبت حكومة البندقية في الأمر.

9. يحق للبنادقة تعيين قنصل لهم في اسطنبول ليدير شؤون الجالية البندقية حسب عاداتهم، يساعده في ذلك صوباشي (ضابط تابع له).

10. تدفع الحكومة البندقية إلى الدولة العثمانية خسائر الحرب وما امتنعت عن دفعه – سواء للأفراد أو الحكومة – من ديون ما قبل الحرب، مبلغا قدره 100,000 دوك خلال سنتين، ويكفّ العثمانيون بعد ذلك عن المطالبة بأية ديون سابقة لهم على البنادقة.

11. تسليم قلعة شقودره الى العثمانيين، ويمنح سكانها الحرية الكاملة في البقاء فيها أو الرحيل عنها بأنفسهم وأموالهم، وفي الوقت نفسه يحق للبندقية سحب كافة عددها الحربية عن المدينة بحرية تامة.

12. تترك جزيرة ليمني للعثمانيين ويمنح سكانها الحرية الكاملة في البقاء فيها أو الرحيل عنها بأموالهم وأنفسهم، ويعفى عن الراغبين منهم في البقاء ما سلف من نشاطاتهم ضد العثمانيين.

13. تعيد البندقية كافة القلاع التي استولت عليها في الأدوار الاخيرة للحرب في المورة، أما من رغب من سكانها بالرحيل عنها فهم احرار في نقل أموالهم، كما أنهم احرار في الرحيل، ويعفى عن الراغبين منهم بالبقاء نشاطاتهم العدائية ضد العثمانيين سابقا;A. W. Ward 1969, PP80–81; Shaw, 1976, P69)

الدسوقي، 1976، 49؛ صفوت، 1948، 159. ويراجع للاطلاع على بنود المعاهدة: جميل ،2002، 311–312؛ محمود ،2007 ، 209).

وللمصادقة على المعاهدة أرسلت الحكومة العثمانية من جانبها مندوبا هو لطفي بك، فاستقبله الرئيس البندقي جيوفاني موسينجو G. Mosengo في 18 نيسان 1479 وفي 25 من الشهر ذاته صادقت الحكومة البندقية على المعاهدة (الرشيدي،2013، 294–295).

أمضى السلطان محمد الفاتح العامين الأخيرين من حياته في محاولات فتح جزيرة رودس، بدأها في 23 ايلول 1480، إذ أرسل لها اسطولا يحمل جيشا بلغ تعداده 100,000 يقوده مسيح باشا، غير أن المحاولة فشلت (افندي، 1855، 117–118؛ عامر، 2001، 142؛ صفوت، 160؛91 Schevile, 209; Creasy,) ، وفي فتح الجزر الايونية سانت مور Sante–maur وكفالونيا Caphalonia في بحر اليونان، ثم أمر السلطان بإنشاء قاعدة بحرية كبرى في افلونا على الساحل الالباني، ثم وجه حملة لفتح اترانتو في الجنوب الايطالي في 14 اب 1480 تمهيدا لغزو كامل لإيطاليا لولا أن المنيّة وافت السلطان في 3 ايار 1481 (فاتان، 1993، 147؛ صفوت،1948، 161؛ عامر،2001 ، 142).

وفي عهد السلطان بايزيد الثاني الذي ارتقى العرش بين 1481–1512، انعكست قضيّة الخلاف بينه وبين أخيه الأمير جم الابن الاصغر للسلطان محمد الفاتح، وكان حاكما في القرمان عند وفاة والده، وقد ادعى السلطنة عند وفاة والده، فكان ذلك محل

رفض أخيه بايزيد، فدخل الاخوان في صراع، وتنقل جم بين عدة جهات طالبا العون ضد أخيه، غير أنه كان أضعف من أن يغيّر الأحوال لصالحه، وانتهى به المطاف عند البابا الذي اتفق مع السلطان بأن يجري له راتبا، ولا يهاجم الأراضي الايطالية مقابل التحفظ عليه، وعندما غزا الملك الفرنسي ايطاليا طالب به فسلّمه اليه البابا، لكنه توفي بعد ذلك بقليل (يراجع للتفاصيل: عامر، 2006–2007، 30–33؛ المحامي، 179–183؛ أوزتونا، 185–189؛ ابراهيم أفندي،119–120؛ S. Creasy, 77–76)، فانعكس ذلك ايجابا على العلاقات العثمانية – البندقية في بادئ الامر، عندما توصل المبعوث العثماني مصطفى بك الى اتفاقات سرية يتعهد فيها الباب العالي بتسليم معاش الامير جم للبابا، وعدم مهاجمة روما أو رودس أو البندقية مقابل التحفظ على أخيه وعدم تسليمه لأية جهة اخرى. كما استهل السلطان حكمه عام 1482 بتجديد معاهدة الامتيازات المبرمة مع البنادقة عام 1454، فتوقفت بموجب ذلك الجزية السنوية التي كانت تدفعها البندقية في عهد والده (فاتان، 1993، 159). لكن العلاقات العثمانية – البندقية سرعان ما أخذ يشوبها التوتر، ففي عام 1492 ارتاب السلطان من رسائل مشفرة بعث بها نائب البندقية الى حكومته، فانذره بمغادرة البلاد خلال ثلاثة ايام (ديل، د. ت، 143)، وفضلا عن ذلك وتحت تأثير المنافسين وتدخلاتهم المستمرة في الشؤون العثمانية في الادرياتيك وألبانيا وبحر ايجة والمورة، مما دفع الحكومة العثمانية الى اغلاق الموانئ بوجه تجار الحبوب البنادقة عام 1496، واستيلاء أسطول عثماني على سفينة بندقية تحمل حجاجا الى بيت المقدس عام 1497 وأسر من كانوا على متنها، وأخيرا قيام قوة عثمانية من البانيا باحتلال مونتينغرو (القيسي، 2008، 78).

عزز السلطان بايزيد من اجراءاته الدفاعية في مياه البحر المتوسط، إذ تحرك لإنشاء أسطول جديد بقيادة القبطان كمال ريس (هو احمد كمال الدين بن علي ولد عام 1451 من اصول قرمانية، هاجرت عائلته الى غاليبولي واستقرت هناك، وهو من كبار قادة البحر العثمانيين توفي عام 1511. يراجع: عبد الله، 2017، 399 –424). وزج آلاف البحارة في خدمته، وانشأ ورش جديدة لبناء السفن (القيسي، 2008، 78؛ محمود، 2007، هامش 189، 222)، ومما أزّم الأمور ايضا المساعدة التي كان يتلقاها اسكندر بك من البندقية في صراعه مع العثمانيين، وبالمقابل احجام البندقية عن مساعدة السفن العثمانية التي التجأت الى قبرص أثر هبوب عاصفة بحرية عليها (محمود، 2007، 223)، وأعدّ السلطان بايزيد للحرب عدّتها الدبلوماسية، ولغرض حرمان البندقية من الحلفاء؛ فقد تبادل الرسائل مع البابا الكسندر بورجيا وملك نابولي ودوق ميلان وجمهورية فلورنسا، وكان كل منهم يرغب بالتحالف معه ضد أعدائه، فكان لتلك المراسلات أثرها في إثارة الحكومة البندقية لوقوفها موقف المنفرد في الصراع

ضد العثمانيين (سلطان، 1991، 75؛ المحامي، 2008، 184؛ Shaw, 1976, 75)، ولملء الفراغ الذي أحدثه ابتعاد هؤلاء عن البندقية بسبب التنافس الداخلي بين الدويلات الايطالية، فقد حاولت البندقية التقارب مع فرنسا الأمر الذي أثار غضب الحكومة العثمانية (الطائي، 2005، 109).

كانت الشرارة التي اشعلت فتيل الحرب بين العثمانيين والبنادقة هي قيام السلطان العثماني بتوقيف المقيمين والتجار البنادقة في اسطنبول، وعندما تكرر موضوع الرسائل السابق الذكر في 4 تموز 1499، فما كان من البندقية إلا أن أعلنت الحرب على الدولة العثمانية وبدأت بمهاجمة السواحل العثمانية في شبه جزيرة المور ' مستغلة انشغال العثمانيين بصراعهم مع المماليك (عبد الله، 2017، 406؛ ديل؛ سرهنك ،1894، 521). عليه استمرت الحرب العثمانية – البندقية طيلة السنوات 1499– 1503 وقد تبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة، ففي حزيران 1499 أرسل السلطان بايزيد الثاني الأسطول العثماني يقوده كمال ريس واصطدم مع البنادقة في مودون، واستطاع الاستيلاء عليها (سرهنك، 521؛ الطائي، 2005، 110)، ثم بعدها استولى العثمانيون على كورون (فاتان، 161؛ عبد الله، 2017، 407)، وكان سقوط مودون وكورون في المورة ضربة عنيفة أصابت البندقية، اذ كانت هاتان القلعتان القائمتان في المورة على حد تعبير احد المعاصرين: "العش الذي تأوي اليه جميع السفن المسافرة الى بلاد الشرق" (ديل، د.ت، 143).

توجه أسطول عثماني أيضا نحو ليبانت وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى جزيرة سابينزا الحيوية بين 28 – 30 آب 1499 بعد هزيمة أسطول بندقي يقوده الأميرال انطونيو كريمالدي A. Cremaldi تجاوزت عدد سفنه 200 سفينة الأمر الذي انهارت معه القوة البحرية الرئيسة للبنادقة (سرهنك، 522؛ محمود، 223–224؛ S. Creasy, 122 ;Rose, 113). وفي تلك الأثناء عبر جيش عثماني قوامه 20,000 مقاتل يقوده اسكندر باشا انهار تكلمنتو، اسونزو، بيافا ودخل سهل البندقية وحرق مدينتي بادوفا، فيانزا، ولم تستطع البندقية الرد والدفاع عن تلك البقاع لانشغال قواتها في القتال في المورة (اوزتونا، 1988، 199).

وعلى الرغم من تحقيق البنادقة انتصارهم البحري باستعادة جزيرة كفالونيا في 24 كانون الاول 1500 بمساعدة الاسطول الاسباني، غير انهم سرعان ما فقدوا نشوة انتصارهم بفشلهم بالمحافظة على مدينة بريفيزا، كما ان السلطان بايزيد تحرك من أدرنة في 7 نيسان 1500 بعد قضاء فصل الشتاء فيها، وخلال 10 – 16 آب 1500 استسلمت القواعد البحرية والقلاع البندقية

الموجودة في جنوب المورة أيضا وهي نافارين وفينار وميلونا وغيرهن، وبهذا الشكل تم تصفية كافة مناطق النفوذ البندقي في بلاد اليونان والمورة (سرهنك، 523؛ الطائي، 2005، 112).

ازاء تلك الهزائم وتردي الوضع المالي للبندقية وعدم قدرتها على مواصلة القتال؛ طلبت المساعدة من فرنسا والبابوية، فأبحر أسطول فرنسي في أيلول 1501 يحمل 10,000 مقاتل، وحاصر جزيرة مدللي في بحر ايجة لستة اشهر، غير أنه فشل في الاستيلاء عليها، ثم تعرض لعاصفة هوجاء فتشتت شمل تلك الحملة (القيسي، 2008، 79؛ أوزتونا، 1988، 200)، وبانتصار العثمانيين وفتحهم مدينة رودستو على بحر الادرياتيك (المحامي، 185؛ فاتان، 162؛ Shaw, 1976, 76)، ثم فقدان البنادقة لمدينة دراج Drac آخر قواعدهم في البانيا في 13 آب 1502، لم يبق أمامهم سوى طلب الصلح مع الحكومة العثمانية، فأرسلوا لهذه المهمة زفاريا فريشي Z. Freschi ممثلا عنهم في المفاوضات مع الحكومة العثمانية (الطائي، 2005، 113) التي كانت راغبة هي أيضا بإنهاء هذه الحرب لمواجهة المد الصفوي الآخذ بالنمو آنذاك في الشرق (مفتي وآخرون، 2015، 22–23؛ الدسوقي، 50) وانتهت بتوقيع الصلح في 14 كانون الاول 1502، وصادق عليه رئيس جمهورية البندقية في 20 ايار 1503، وتنازلت فيه البندقية عن كفالونيا وكورون ومودون وجزيرة سانت مور، ولم تحتفظ في المورة إلا بناوبليا وبتراس ومونمفازيا، واحتفظت البندقية بامتيازاتها التجارية في الدولة العثمانية وحق المرور الى البحر الاسود، واحقيتها في ان يكون لها تمثيل قنصلي في اسطنبول تجدد مدته كل ثلاث سنوات (ديل، د. ت، 143؛ سرهنك، 523؛ محمود، 225؛ Shaw, 1976, 76).

ولغرض تقويم ما اسفرت عنه تلك الحرب على مستوى القوتين العثمانية والبندقية؛ لا نجد كلاما يعلو على كلام المؤرخ هانز بيتر ثيونيسن من قوله: "لقد ازدادت القوة العثمانية لاسيما القوة البحرية على نحو مضطرد وتلاشت الهيمنة البحرية البندقية شرقي البحر المتوسط، وعلى الرغم من امتلاك البندقية أسطولا ضخما، إلا أن اليد الطولى كما يبدو قد أصبحت للعثمانيين" (القيسي، 2008، 81). ومع نهاية هذه الحرب؛ فقد أسدل الستار عن حقبة مهمة في العلاقات العثمانية – البندقية تميزت بتعقيدها وتذبذبها بين الحرب تارة والسلام والاستقرار تارة اخرى، وبذل فيها الطرفان كلاهما أقصى الجهود لإزاحة الطرف الآخر من ميدان الصراع، أو على أقل تقدير التقليل من تأثيره السياسي على نفوذه ومصالحه، حتى جاء القرن السادس عشر الذي حمل في طياته تطورات وظروف أخرى استحقت من الباحث ان يفرد لها دراسة مستقلة .

الخاتمة:

لا نغالي اذا قلنا أن قيام العلاقات السياسية والاقتصادية بين أي بلدين يتطلب توفر القصدية فيها سواء من أحدهما أو كليهما، لكن ما حصل بالنسبة للعلاقات العثمانية – البندقية فان قيامها قد فرضته الظروف، وقد امتازت بتذبذبها منذ بداية نشأتها. فبسبب امتلاك البندقية عدد من المستعمرات التجارية وسيطرتها على الطرق التجارية الرئيسة في الشرق من جهة، واصرار العثمانيين على التوسع على حساب تلك المناطق، فقد كان الصدام بين الطرفين هو النتيجة الحتمية، لذلك نشبت بين الطرفين أكثر من معركة ابتداء من عام 1416 الذي شهد أول احتكاك حربي بحري بين الطرفين، أثبت للبنادقة أنهم أمام قوة ناشئة يتطلب الانتصار عليها؛ استغلال مختلف الفرص للانقضاض عليها. في حين أثبت للعثمانيين أن الصراع مع تلك القوة (بحريا) يختلف عن نظيره (البري) مع الدول الاوربية الأخرى وبناء على ذلك يجب ان يتضاعف الاهتمام بتشكيل القوة البحرية العثمانية .

كان لحكومة البندقية موقف متذبذب من عملية فتح القسطنطينية، ففي الوقت الذي استصرختها بيزنطة لاعتبارات دينية، وشارك عدد من افراد جاليتها في المدينة بالدفاع عنها، غير انها بمجرد سقوطها أرسلت وفدا للمحافظة على مصالحها التجارية في الدولة العثمانية، الأمر الذي يدل على أن مصالحها الاقتصادية هي التي كانت تتحكم في موقفها اكثر من أي شيء آخر. لكن تطبيع العلاقات بين الطرفين لم يستمر طويلا، بسبب تقاطع المصالح، اذ شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر حربين داميتين بين الدولة العثمانية والبندقية، وكانت النتيجة تحجيم قدرات البندقية في المنطقة، ودخول الطرفين بهدنة مسلحة بعدها استعدادا لمرحلة أخرى من الصراع الذي شهده القرن السادس عشر.

المصادر:

الرسائل الجامعية:

1:القيسي (2008)، أنيس عبد الخالق محمود، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ،.

2:الطائي (2005)، الهام عبد القادر حمودة، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني 1481–1512ميلادية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل.

3:مفتي وآخرون (2015) حفيضة، العلاقات العثمانية الصفوية في القرن 10هـ /16م، مذكرة ماجستير، كلية الدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس، الجزائر.

4:جميل (2002) ضياء محمد، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) 1451-1481، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الموصل.

5:حمودة (2006) سميه محمد، حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ /17م، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة أم القرى.

الكتب العربية:

1:افندي (1855) ابراهيم، مصباح الساري ونزهة القاري، بيروت.

2:طرخان (1960) ابراهيم علي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382-1517، القاهرة.

3:رائسي (2007) ادريس الناصر، العلاقات العثمانية الاوربية في القرن السادس عشر، دار الهادي، بيروت.

4:ياغي (1996) اسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض.

5:سرهنك (1894) اسماعيل، حقايق الاخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الاميرية ببولاق، مصر.

6:شوجر (1998) بيتر، أوربا العثمانية 1354-1804، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

7:كنروس (2003)، جون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الامبراطورية، ترجمة: ناهد ابراهيم الدسوقي، منشأة المعارف، الاسكندرية.

8:اينالجيك (2007) خليل وآخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، المجلد الاول 1300-1600، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الاسلامي، بيروت.

9:اينالجيك (2003) خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ترجمة: محمد الارناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت.

10:عطا (د.ت) زبيده، الترك في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي، الكويت، (د.ت).

11:محمود (2007)، سيد محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار وفق المصادر العثمانية والدراسات التركية الحديثة، كلية الآداب، القاهرة.

12:ديل (د.ت) شارل، البندقية جمهورية ارسطقراطية، ترجمة: احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، مصر.

13:باموك (2005) شوكت، التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الاسلامي، بيروت.

14:الصفصافي (1999) احمد المرسي، اسطنبول، دار الافاق العربية، القاهرة.

15:قاسم (1990)عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، العدد 149، الكويت.

16:الحديثي (1986) قحطان عبد الستار، صلاح عبد الهادي الحيدري، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، البصرة.

17أمين (1980) عبد الامير محمد و محمد توفيق حسين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، بغداد.

18:فهمي (1993) عبد السلام عبد العزيز، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق.

19:نوار (1991) عبد العزيز سليمان، الشعوب الاسلامية الاتراك العثمانيون – الفرس – مسلمو الهند، دار النهضة العربية، بيروت.

20:الشناوي (1969) عبد العزيز محمد، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، ج1، دار المعارف، مصر.

21:حسون (1994) علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الاسلامي، بيروت.

22:سلطان (1991)علي ، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق.

23:الرشيدي(2013) محمد سالم، السلطان محمد الفاتح، ط2، دار البشير، مصر.

24:طقوش (2008) محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت.

25:المحامي (2009) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، دار النفائس، بيروت.

26:كوبريلي (د.ت) محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: احمد السعيد سليمان، تقديم احمد عزت عبد الكريم، دار الكتاب العربي.

27:الدسوقي (1976) محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة، القاهرة.

28:صفوت (1948) محمد مصطفى، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي، القاهرة.

29:الحويري (2001) محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، القاهرة.

30:عامر (2001) محمود علي، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دار الرحاب للنشر، دمشق.

31:عامر (2006– 2007)، تاريخ الدولة العثمانية، (سياسية – اجتماعية)، جامعة دمشق ، دمشق.

32:فهمي (1960) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر القرون الوسطى، المكتبة العربية، القاهرة ،1960.

33:بينز (1950) نورمان، الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة.

34:باربارو (2002)نيقولا، الفتح الاسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني، ترجمة: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، عين للدراسات، القاهرة.

35:ابو زيدون (2003) وديع، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، عمان.

36:اوزتونا (1999) يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الاول، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الانصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول.

الكتب باللغة الأجنبية :

1. Schevile (1922) Ferdinand, History of the Balkan Peninsula From the Earliest Times to the Present Day, Frederick Ungar Publishing, New York.

2. Lane (1973) C. Fredric.; Venice: A Maritime Republic, Baltimore.

3. Lamb (1930) Harold, The Crusades the Flame of Islam, New York.

4. Creasy (1961) S. Edward, History of Ottoman Turks, Beirut.

5. Nicole (1972) D., The last Centuries of Byzantium, London.

6. Yale (1958) W. The Near East A modern History, University of Michigan Press.

7. Ostrogorsky (1965) g., History of the Byzantine State, Oxford.

8. Shaw (1976) J., Stanford, History of The Ottoman Empire and Modern turkey, Vol. I, Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, Cambridge University Press, London.

9. Rose (2002) Susan, Medieval Naval warfare 1000 -1500, London

.

10. Sousa (1933) Nasim, The Capitulatory Regim of Turkey, The Johns Hopkins Press, London.

11. Ward (1969) A.W. and Others, The Cambridge Modern History ,Vol. The Renaissance, Cambridge.

12. Thayer (1908) William , A short History of Venice, Boston, 1908.

البحوث:

- بيلدسينو (1993) ايرين، البدايات عثمان وأورخان، بحث ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج1، اشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة.
- الدوري (2012) رائد سامي حميد، دوافع التوجهات العثمانية نحو أوربا الشرقية 1299– 1358، مجلة سر من رأى، المجلد 9، العدد 32، السنة التاسعة، كانون الثاني.
- احمد (2012) علي خليل، التوسع العثماني في الروميلي في عهد السلطان مراد الثاني 1421– 1451، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد السابع، العدد 3.
- توفيق (2009) فواز نصرت، دور المدن التجارية الايطالية في الحروب الصليبية، (جنوه – البيزا – البندقية)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 16، العدد 10، تشرين الاول.
- آمجن (1999) فريدون، التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى، بحث ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الاول، اشراف: اكمل الدين احسان اوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، اسطنبول.
- عبد الله (2017) نسيبة عبد العزيز، النشاط البحري لكمال ريس 1451–1511، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، الموصل، المجلد 14، العدد 1.
- فاتان (1993) نيقولا، صعود العثمانيين 1362–1451، بحث ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج1، اشراف: روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة .

Sources in the English language

Undergraduate Theses

1: Al Qaysi ,Anis A.Mahmud,(2008)Ottoman Naval Activity in Sixteenth –Century Mediterranean ,Adissertation Submitted to the Board of College of Arts University of Baghdad in parttion fullment of the requirement for the (PHD) degree in modern.

2:Al Taai,Elham A.Hamodde,(2005)Ottoman Empire in the Reign of Sultan Bayezid II 1481-1512,Adissertation Submitted to the Council of College of Education University of Mosul in partial Fulfillment of the Requirements for Master Degree in Modren History.

3: Mofty ,hafeza and Others,(2015)Ottoman –Safavid raletion in the $10^{th}/16^{th}$ century,Master thesis Faculty of humanities and Social Studies Dr.Fares Yahya University,Algeria.

4: Jamel D.Mohamed(2002),The Ottoman State in the reign of Mohamad II 1451-1481,Master theses,College Art,Mosul.

5: Hamoda S.Mohamad(2006),The Ottoman Conquest in 11^{th} /17^{th} century ,Master Theses, College Sharia,University of Om al koraa.

The Arabic book

1: Afindi Abrahem(1855),Mesbah sare and Nozhat Kare,Beirut.

2:Tarkan A.Ali(1960), Egybt in the Era of the Circassian Mamluk State 1382-1517,Caro.

3:Raasi A.al nasir(2007), Ottoman-European Relations in the Sixteenth Century, Al-Hadi Publishing House, Beirut.

4:Yage A.Ahmad(1996), The Ottoman State in Modern Islamic History, Obeikan Library, Riyadh.

5:Serhank Asmaeal(1894), News facts about sea countries, part one, Bulaq, Egypt.

6: Shuger Beter(1998), Ottoman Europe 1354-1804, translated by Assem El-Desouky, New Culture Publishing House.

7:Kinrros J.batrek(2003), The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of the Empire, translated by Nahida Ibrahim El-Desouki, Alexandria.

8: Eanalgk kalil and Others(2007), The Economic and Social History of the Ottoman Empire, Volume I, 1300-1600, translated by Abdul Latif Al-Hares, Al-Madar Islamic Publishing House, Beirut.

9: Eanalgk kalil(2003), History of the Ottoman Empire from rise to decline, translated by Muhammad Al-Arnaout, Al-Madar Islamic Publishing House, Beirut.

10:Ata Zobaida(N.D), Turks in the Middle Ages, Arab Thought Publishing House, Kuwait.

11:Mahmod S.mahamad(2007), History of the Ottoman Empire, Origin and Prosperity, According to Ottoman Sources and Modern Turkish Studies, Faculty of Arts, Cairo.

12:Del Sharll(N.D), Venice is an aristocratic republic, translated by Ahmed Ezzat Abdel Karim, and Tawfiq Iskandar, Cairo.

13:Bamok Shawkit(2005), The Financial History of the Ottoman State, translated by Abdul Latif Al-Haris, Al-Madar Islamic Publishing House, Beirut.

14:ALsifsafy A.Morsy(1999), Istanbul Arab Horizons Publishing House, Cairo.

15:Kasim A.kasim(1990), The nature of the Crusades, The World of Knowledge, Issue 149, Kuwait.

16:Al hadithy K.Abd al star and Other(1986), Studies in Sassanian and Byzantine history, Basra.

17:Ami A.Mohamad History of Europe in the Middle Ages,Baghdad.

18:Fahmi A.abdlaziz(1993), Sultan Muhammad the Conqueror of Constantinople and the conqueror of the Romans, Al-Qalam Publishing House, Damascus.

19:Niwar A.Sliman(1991), Islamic peoples, the Ottoman Turks, the Persians, the Muslims of India, Arab Renaissance Publishing House, Beirut.

20: Alshanawi A.Mohamad(1969), Europe early modern times, part one, Egept.

21:Hason. Ali(1994), History of the Ottoman Empire and its Foreign Relations, The Islamic Office, Beirut.

22: Soltan. Ali(1991), History of the Ottoman Empire, Damascus.

23: Alrashedi M.Salem(2013), Sultan Muhammad Al-Fateh, second edition, Al-Bashir Publishing House, Egypt.

24:Takosh M.Sohil(2008), History of the Ottomans from the establishment of the state to the coup against the caliphate, Al-Nafais Publishing House, Beirut.

25:Almohame M.fred(2009), History of the Ottoman Empire, achieved by Ihsan Haqqi, Al-Nafais Publishing House, Beirut.

26:Kobrili M.foad(N.D), The rise of the Ottoman Empire, translated by Ahmed Al-Saeed Sulaiman, presented by Ahmed Ezzat Abdel Karim, Arab Book Publishing House, Cairo.

27:Aldsogi M.kamal(1976), The Ottoman State and the Eastern Question, Culture Publishing House, Cairo.

28:Safwat M.Mostafa(1948), Sultan Muhammad Al-Fatih, the Conqueror of Constantinople, Arab Thought Publishing House, Cairo.

29:Alhoweri M.mohamad(2001), History of the Ottoman Empire in the Middle Ages, Cairo.

30: Amir M.Ali(2001), The Ottoman Empire, History and Documents, Al-Rehab Publishing House, Damascus.

31:_____(2006-2007), History of the Ottoman Empire (political - social) Damascus University,

32:Fahmi N.Zaki(1960), International trade routes and their stations between East and West, the late Middle Ages, The Arab Library, Cairo.

33: Binz Norman(1950), The Byzantine Empire, translated by Hussein Munis and Mahmoud Youssef Zayed, Cairo.

34:Barbaro Nekola(2002), The Islamic Conquest of.Constantinople Diaries of the Ottoman Siege, translated by Hatem Abdel Rahman Al-Tahawy, Ain Studies House, Cairo.

35:Abo zidon.Wadee, History of the Ottoman Empire from foundation to fall, Oman.

36:Aoztona Yalmaz(1999), History of the Ottoman Empire, Volume One, translated by Adnan Mahmoud Salman, revised by Mahmoud Al-Ansari, Faisal Finance Corporation, Istanbul.

books in English

1. Schevile (1922) Ferdinand, History of the Balkan Peninsula From the Earliest Times to the Present Day, Frederick Ungar Publishing, New York.

2. Lane (1973) C. Fredric.; Venice: A Maritime Republic, Baltimore.

3. Lamb (1930) Harold, The Crusades the Flame of Islam, New York.

4. Creasy (1961) S. Edward, History of Ottoman Turks, Beirut.

5. Nicole (1972) D., The last Centuries of Byzantium, London.

6. Yale (1958) W. The Near East A modern History, University of Michigan Press.

7. Ostrogorsky (1965) g., History of the Byzantine State, Oxford.

8. Shaw (1976) J., Stanford, History of The Ottoman Empire and Modern turkey, Vol. I, Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, Cambridge University Press, London.

9. Rose (2002) Susan, Medieval Naval warfare 1000 -1500, London

10. Sousa (1933) Nasim, The Capitulatory Regim of Turkey, The Johns Hopkins Press, London.

11. Ward (1969) A.W. and Others, The Cambridge Modern History ,Vol.

The Renaissance, Cambridge.

12. Thayer (1908) William , A short History of Venice, Boston, 1908.

Research in English

1:Bilsedino Earin(1993), The Beginnings, Osman and Orkhan, research within the book (The History of the Ottoman State), Part One, supervised by Robert Mantran, translated by Bashir Al-Sibai, Al-Fikr Publishing House, Cairo.

2:ALdory R.S.Hamed(2012), Motives of the Ottoman Attitudes towards Eastern Europe 1299-1358, Samarra Magazine, Volume 9, Issue 32, Year 9 January.

3:Ahmad A.Kalil(2012), The Ottoman Expansion in Rumaili during the reign of Sultan Murad II 1421-1451, Journal of Kirkuk University for Human Studies, Volume VII, Issue 3.

4:Tawfek F.Nasrat(2009), The Role of Italian Commercial Cities in the Crusades (Genoa - Pisa - Venice) Tikrit University Journal for Human Sciences, Volume 16, Issue 10, October.

5: Amgin Fredon(1999), The political history of the Ottoman state from the establishment of the state until the Treaty of Qinarija, research within the book (The Ottoman Empire, History and Civilization), Volume One, supervised by Ekmeleddin Ihsanoglu, translated by Salih Saadawi, Istanbul.

6:Abdola Nasiba(2017), The Marine Activity of Kamal Reis 1451-1511, Journal of Research of the College of Basic Education, Mosul, Volume 14, Issue 1.

7:Fatan Nikola(1993), The Rise of the Ottomans 1362-1451, research within the book (The History of the Ottoman Empire), Part One, supervised by Robert Mantrand, translated by Bashir Al-Sibai, Al-Fikr Publishing House, Cairo.